

همسات حية (١٥)

أنت

ملكي مرتين



You Are

Twice Mine

يوماً ما.. وفي مكان ما على سطح كوكبنا. صنع طفلاً فقيراً في الثانية عشرة من عمره قارباً صغيراً ليلعب به في البركة القريبة من بيته..

وقد قضى ساعات طوال في تقويس هيكل المركب حتى جعله إلى أفضل ما يكون للاتزان. وبعد أن أتضح شكل القارب وظهر له لون ووصل إلى شكله النهائي، جاء اليوم العظيم ليقوم القارب الصغير بأول رحلة له..

كان الولد الصغير مستمتعاً جداً برؤية قاربه الصغير أكثر من اليوم الذي رأى فيه أسراب مراكب مدينته وهي تنزل إلى عرض المحيط لأول مرة.. كان فرحاً جداً.. لان الذي يعوم على وجه المياه في البركة هو صنعة يداه.. قاربه الصغير الذي صنعه بنفسه.

ظل يتابع ببصره قاربه الصغير وهو يجرى في البركة.. تخيل نفسه صغيراً جداً يقف على مقدمة قاربه.. ارتسمت ابتسامة تحمل رضا وسرور عظيم على وجهه، ظهرت منعكسة على وجه مياه البركة.. وبينما القارب يسير متزناً في انسيابية وكمال.. أُسرَ فجأةً بتيار شديد وصار كأنه في سباق مع التيارات الصغيرة المندفعة حوله التي صارت أسرع وأسرع.

ركض الولد بجانب البركة وحاول أن يلتقط قاربه فلم يستطع.. قفز على الشجرة ودفع بيده ناحية البركة !! لكن للأسف مرة أخرى لم يستطع التقاطه.. انهمرت الدموع من عينه وسالت على وجهه وهو يرى اعز ما يملك يذهب عن بصره في المجرى.. كان مُحطماً وكأن حلمه قد انتهى سريعاً..

بعد سنوات ليست بقليلة.. كان شاباً صغيراً يسير عبر الطريق متجهاً إلى بيته وبينما هو كذلك رأى شيئاً ما استرعى انتباهه في متجر الرهنيات القديم.. لقد رأى قاربه الصغير معروضاً في نافذة المتجر.. كان يعلم يقيناً أنه هو.. كان الثمن مكتوباً عليه "١٠ جنيهات" فركض ناحية المتجر ووقف عند الباب وقال للبائع: "سيدي هذا قاربي.. أنا

صنعتة" فأجابه البائع بخشونة: "لا.. انه قاربي، ولكن أن أردت أن تمتلكه عليك بدفع ثمنه كاملاً.."

قال الشاب الصغير "انه يستحق ذلك الثمن المرتفع المدون عليه في نافذة متجره. انه يستحق التضحية".

عاد الشاب الصغير إلى بيته وكسر صندوق مدخراته وعاد إلى المتجر ووضع الثمن أمام البائع على المنضدة وقال له: "هذا هو الثمن والآن امنحني قاربي".. كانت رأسه مرفوعة بينما هو يسير حاملاً قاربه بانتصار وفرح غامر تحت ذراعه.. كان يحمل القارب الصغير.

قال وهو ينظر إلى قاربه بفخر وابتهاج: "أنت ملكي للمرة الثانية.. أنا وأنت ذهبت بعيداً.. لكنى الآن اشتريتك وأرجعتك إلى بكل ما املك"..

قصة صغيرة شيقة. أليس كذلك!؟

ربما أنها لم تحدث على الإطلاق.. لكن معناها ذا مغزى خاص.. لقد صنعني الله وصنعك أيضاً. لقد كان فخوراً بما صنعه .. خلقنا لمجده ومحبه.. أرادنا أن نتمتع بكوننا خاصته. لكن ثمة تيار شديد اسمه "الخطية" أسرنا وصيرنا محمولين به ليدفعنا بعيداً عن الله.. كان الله يعلم نهاية الطريق الذي ذهبنا فيه.. طريق الموت الأبدى.

لذا اعد الله خطة ليشترينا ويعيدنا بفداء عجيب لأن شريعته تقول أن أجره الخطية (استقلاليتنا عن الله) هي موت (دينونة أبدية)..

وأنا في سجن وعبودية.. رأى الأثرية تغطينا بينما ننتظر في نافذة المتجر من يقدم لنا ثمناً لنكون مثل تحفة فنية في بيته فحسب.. صورتنا لم تكن تفارق مخيلته أبداً. لأنه عندما ظلنا مع نيار الخطيبة لم نكن مجرد حلم رائع انتهى بالنسبة لله، وذلك لكوننا واقع حي يعيش في إرادته وفكره، كانت خطته تكمن في شئ واحد وهو أن يشتري صنعة يدها بأى ثمن.. وهل تنفع الجنيهاات !!!؟؟

لم يكن هناك شيئاً اثنى عند الله من نفسه، لأنه الكل في الكل.. ولفرط حبه لما صنع.. قال "أنا هو الثمن"... وجاء إلى أرضنا من خلال جسد بشرى "الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجدداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو ١: ١٤) جاء لكي يركض ناحية المتجر ويقول "هذا هو قاربي أنا ملكي.. انه ملكي".

ولكون الله عادل حقا لم يأخذ ما يخصه بالقوة.. بل قدم الثمن.. قدم ابنه الوحيد "يسوع المسيح".. الذي هو الله المتجسد ذاته.. قدم الله ذاته لأجلنا..

أحب الشاب قاربه جداً لذا ضحى بكل مدخراته في سبيل حصوله على القارب. وان لم يكن هذا شيئاً البتة بالمقارنة بما فعل الله من اجل العالم.. إذ هو مكتوب "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك

كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦)

لقد أكن امتلاك القارب ثانية شيئاً مكلفاً لذلك الشاب الصغير.. أما بالنسبة لله فقد كان امتلاكنا ثانية أمراً باهظ الكلفة بما لا يقاس.. لان

الثلث دفع على تل الجلجثة.. دفع على خشبة الصليب.. دفع بالمسامير
والحربة وإكليل الشوك وبالسياط.. كانت حياة - الذي خرجت منها كل
حياة - الرب يسوع هي الثمن.. وعندما اسلم الروح على الصليب تلك
الإله الرهيبة أكتمل ثمننا.. وخرج من باب القبر في اليوم الثالث يحملنا
في قيامة روحية رائعة تحت زراعته.. أقامنا معه.. وها ثانية". وظهره
المحروث بالسياط يقولان مع جبينه الممزق ثانية". ملكي ثانية".

كلمة أخيرة

اختي.. اختي..

اسمح أن أقول لك شيئاً.. أنت مخلوق لمجد الله.. انه يحبك بصورة لا
يمكن قياسها أو تخيلها.. يحبك بالرغم مما أنت فيه.. يعرفك جيداً أكثر
مما تعرف نفسك.. يعرف كل أمورك الصغيرة وكل مشغوليتك.. جاء إلى
كوكبنا لكي يفضم الظلمة التي فيه.. عزيزي.. يسوع المسيح روح
الله الذي يتعري كل شئ وينكشف أمامه.. عزيزي.. الرب يسوع اليوم
في هذه اللحظة يقدم لك عهداً جديداً يقول لك: ها أنا قد خلقتك من لا
شئ من التراب والطين الذي لا قيمة له. وللمرة الثانية فديتك بدمي
التمين الذي يخلقك من جديد والذي هو حياتي الأزلية الأبدية... لا.
توجد امامي مشيئة أن تهلك وها أنا واقف على الباب واقرع منتظراً
دخول قلبك صنعة يدي. لأنني أحبك جداً جداً.. لا. تتركني انتظر
كثيراً..

آخى.. اختى

الحياة أمامنا وكذلك الموت خلف أسوار رفضنا والرب يقرع على أبواب قلوبنا فان فتحنا صار به كل فرحنا وان امتنعنا يا لا يؤسنا.

تعالى معي وردد هذه الكلمات بقلب منسحق:

سبيدي أشكرك لأنك تحبني.. سامحني لأنني لم أكتشف مقدار حبك لي، ولم أكن أدرك مقدار ما فعلت من أجلى.. ها أنا اعترف لك أن عصياني لا يفيد وخطيتى عظيمة.. أثق في حبك الذي لا ينتهي، والذي هو إعلان لحضورك كل حين.. أصلى أن تقدسني وتخفر خطيتى وتبرئني.. أعلم بعدم استحقاقي واقرب به.. تذكر سبيدي أنني قاربك الصغير.. صنعة يداك.. وأصدق وأصدق أنك غفرت لي الآن ابتعادي عنك وها أنا أعلن لك إلى الأبد..

أمين